التضاد: مقاربة دلالية بين علماء اللغة القدامى والمحدثين

أ.د. مراد حميد العبد الله

جامعة البصرة- العراق

مقدمة:

تُعَدُّ قضية التضاد (Polysem) من القضايا اللغوية الشائكة التي أثارت اهتمام علماء اللغة في الدراسات اللغوية كونها من الموضوعات المتقاربة من مصطلح الأضداد، فذهب علماء للغة بآرائهم منقسمين حول طبيعة المصطلح ودلالته السياقية في النصوص العربية، فقد درسها اللغويون القدماء ضمن سياقات تقليدية ارتبط أكثرها بالمعاني البلاغية، بينما تعامل معها اللغويون المحدثون بمنهجيات تحليلية أكثر عمقًا تعتمد على النظريات الدلالية الحديثة. ومن هنا جاءت الفكرة لدراسة هذه الظاهرة اللغوية بعدها مدخلاً لفهم وتطور الفكر اللغوي وتحولاته من خلال الاستعمالات اللغوية للنصوص عبر العصور.

مشكلة البحث:

على الرغم من قلة الدراسات اللغوية التي تناولت التضاد، فقد ساهمت في خلق فجوة معرفية لدى القارئ العربي تتعلق بالمقارنة بين مصطلحي التضاد والأضداد اللذين اختلط الفهم بينهما ظناً أنهما يدلان على المعنى نفسه، لذلك عُدَّ هذا الخلط من أهم المشاكل التي يثيرها البحث، فضلا عن التساؤلات حول مدى اختلاف الرؤى بين الفريقين (القديم – المحدث) وكيف كان تأثيراتها الثقافية والمنهجية لكل زمن في تحليل هذه الظاهرة، لذلك اتضحت مشكلة البحث في تعامل علماء العرب القدامى والمحدثين لهذه الظاهرة من حيث المنهج والدلالة.

أهمية البحث:

يسلط البحث الضوء على مفهوم التضاد كونه ظاهرة لغوية ودلالية تجاوزت حدود الزمن، لذلك اهتم البحث في توضيح أهمية الموضوع من خلال:

1. توضيح الفروق الدلالية لظاهرة التضاد وتفسيراتها عبر العصور.
2. المساهمة في تقديم رؤية جديدة توضح العلاقة بين الدراسات اللغوية التراثية والمحدثة.
3. إغناء النقاش الأكاديمي حول قضايا الدلالية والتحليل اللغوي للنصوص.

 ISBN:978-9922-9838-7-5

أهداف البحث:

يهدف البحث من خلال تقديم رؤية تسهم في رفد المكتبة العربية من خلال الآتي:

1. دراسة المصطلح والمفهوم للتضاد كما تناوله علماء اللغة القدامى والمحدثون.
2. تحليل الفروق الدلالية في معالجة التضاد بين المناهج التقليدية والحديثة.
3. تقديم مقاربة شاملة تجمع بين الرؤى التراثية والمعاصرة.

منهج البحث:

يعتمد البحث في طرحه على المنهج الوصفي والتاريخي لتتبع ظاهرة التضاد، من خلال عرض دراسة تاريخية للمصطلح ومراجعته للنصوص التي تناولت الظاهرة من خلال آراء علماء العرب القدامى والمحدثين ثم مقارنة نصوص العلماء القدامى بالنظريات الدلالية المحدثة في تحليل الظاهرة، عبر تحليل أمثلة لغوية مختارة من التراث العربي والنصوص المعاصرة لتوضيح الفروق الدلالية والمنهجية.

الكلمات المفتاحية: التضاد، اللغة، القدامى، المحدثين، العلماء

Polysemy: A Semantic Approach Between Classical and Modern Linguists

Murad H. Al Abdullah

Abstract:
The phenomenon of polysemy (taʿaddud al-maʿānī) represents a complex and nuanced issue within Arabic linguistics, closely associated with the concept of lexical ambiguity. This topic has garnered significant attention from linguists, who have offered divergent perspectives on its nature and contextual implications in Arabic texts. Classical scholars approached polysemy through traditional frameworks, often emphasizing rhetorical and stylistic dimensions. In contrast, contemporary linguists employ more analytical methodologies, grounded in modern semantic theories, to explore its intricacies. This study aims to examine polysemy as a lens through which to understand the evolution and transformation of linguistic thought, tracing its manifestations across various historical periods and textual usages

Keywords: Polysemy, Arabic language, classical linguistics, modern linguistics, semantic analysis

 ISBN:978-9922-9838-7-5

المبحث الاول

دور العلماء العرب في تحديد مصطلح التضاد ودلالاته

مقدمة:

يُعَدُّ التضادُّ من أبرز الظواهر اللغوية التي تتميّز بها اللغة العربية، إذ يعكس مقدرة العربية المتفردة من التعبير عن المعاني اللغوية المتناقضة بأسلوبٍ مُبدع، والتضاد يتميز بوجود كلمة واحدة تحمل في طياتها معنيين مُتناقضين أو مُتعاكسين تمامًا؛ أي أن تكون الكلمة الواحدة وعاءً لمعنيين أما أن يكونا متعارضين أو متقابلين أو في إطار سياقٍ معين يظهر المعنى المتناقض المراد من المتكلم، ويظهر التضاد في النصوص اللغوية العربية سواءً على مستوى المفردات أو على مستوى الجمل في التركيب اللغوي.

لقد اهتم علماء اللغة العرب القدامى بهذه الظاهرة منذ عصر التدوين، الذي ساهم في انضاجها عبر جمع المعاني، إذ ايقن اللغويون بعد جمع اللغة وترتيبها دليلًا على ثرائها ومرونتها، وقدرتها على إيصال الأفكار والمشاعر بشكل دقيق ومؤثر، خصوصا بعد ان كان الشعر العربي اداة يستعملها العرب لتصوير كل ما يرونه، فساهمت عملية الجمع والتدوين بجعل التضاد أداةً بلاغيةً تُستخدم في النصوص الأدبية والشعرية لتعزيز الجمال الفني والتأثير على المتلقي خصوصاً الشعراء القدامى والفحول، لذلك كان دور العلماء العرب القدامى هاماً في تحديد حيثيات مصطلح التضاد في العربية، إذ تتبعوا معانيه ووصوره وأسباب حدوثه وجمعوا ما قيل عنه فكتبوا فيه كتباً ومؤلفات، لذلك يمكننا تدوين ذلك الدورهم في مجموعة عوامل رئيسة أهمها:

1. **الاعتراف بوجود الظاهرة:** فبعد البحث والتدوين اعترف معظم لغويي العرب القدامى بوجودها –ظاهرة التضاد– في اللغة العربية، محددين مفهومها بشكل دقيق كونها كلمات تحمل معنيين متضادين، ومن أبرز هؤلاء العلماء: أبو بكر الأنباري صاحب كتاب (الأضداد) الذي جمع فيه أكثر من 400 كلمة دلت على التضاد.

2. تحديد تعريفات اصطلاحية ولغوية للتضاد: بعد الاعتراف بالظاهرة وتحديد مفهومها توجب على اللغويين تحديد تعريفات لغوية واصطلاحية دقيقة للتضاد، لتمييزها عن الظواهر اللغوية الأخرى كالاضداد والمشترك اللفظي وغيرها.

3. **تحديد أسباب التضاد**: كل ظاهرة ترصد في الحقل اللغوي كان لها أسبابها في النشأة فكان لزاماً على العلماء تحديد هذه أسباب تواجد هذه الظاهرة في اللغة، فمن بين هذه الأسباب:

أ. **التطور الدلالي**: يعد هذا العامل الاساس في ظهور العديد من الظواهر اللغوية، فتتغير دلالة المفردة بعد مرور فترة من الزمن لتتضمن معنىً مغايراً لمعناها الاصلي.

ب. **التفاؤل والتشاؤم**: استخدام الكلمات للدلالة على معنى إيجابي للتفاؤل، حتى لو كان يحمل في الأصل معنىً سلبيًا، في سبيل ابعاد التشاؤم.

ت. **المعاني البلاغية المجازية**: تعمد الكتاب واللغويين لاستخدام المفردات في سياق بلاغي مجازي يحمل في طياته معنىً مغايراً قد يكون مضاداً لمعناها الحقيقي أو مرادفاً.

ث. **الجمع والتأليف**: بعد ان غادر اللغويون الى البادية من اجل جمع اللغة من مضانها الاصلية، وعودتهم محملين بالاف الكلمات والاستعمالات كان عليهم ان يصنفهوها حسب تصنيفات وضعوهوها واعتمدوها فألّفوا العديد من الكتب والرسائل في

موضوعات عدة جمعوا فيها هذه الالفاظ حسب تصنيفات كان منها، موضوع التضاد واسماء الابل وغيرها، ومن أهم هذه المؤلفات: كتاب (الأضداد) لأبي بكر الأنباري، وكتاب (الجمهرة) لابن دريد.

تعريف التضاد لغة:

ذهب علماء اللغة ومنهم صاحب المقاييس في تحديد معنى التضاد الى عدة مذاهب، فدونوا معناه لغوياً في معاجمهم بانه الضَّادُ وَالدَّالُ كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَانِ فِي الْقِيَاسِ. فَالْأُولَى: ال ضدُّ ضِدُّ الشَّيْءِ. وَالْمُتَضَادَّانِ: الشَّيْئَانِ لَا يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُمَا فِي وقْتٍ وَاحِدٍ، كَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَالْكَلِمَةُ الْأُخْرَى الضَّدُّ، وَهُوَ الْمِلْءُ، بِفَتْحِ الضَّادِ، يُقَالُ: ضَدَّ الْقِرْبَةَ، مَلَأَهَا، ضَدًّا (ابن فارس، 1991م، صفحة 3/ 360)، في حين ذهب صاحب اللسان الى ان التضاد هو الضدُّ كُلُّ شيءٍ ضادَّ شَيْئًا لِيَغْلِبَهُ، والسوادُ ضِد الْبَيَاضِ، والموتُ ضِدُّ الْحَيَاةِ، وَاللَّيْلُ ضِدُّ النَّهَارِ إِذا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ ذَلِكَ (ابن منظور، د. ت.، الصفحات 3 / 263 - 264)

تعريف التضاد اصطلاحاً:

لعل من أهم التعريفات التي يمكن نعتمدها ما ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي حول ظاهرة التضاد كونه أحد ابرز اللغويين الذين شدوا الرحال الى البادية وسمع واخذ عن العرب مشافهة، فكانت اراؤه في تحديد هذه الظاهرة سليمة لا يشو به الغبار، التي اعتمد عليها من جاء بعده من علماء عصره، فأشار الخليل بن أحمد في كتابه (معجم العين)، بأن التضاد هو اجتماع المعاني المتقابلة في الألفاظ، وأورد أمثلة عن الكلمات التي تحمل معاني متضادة بحسب السياق، مثل كلمة "الجون" التي تعني الأبيض والأسود. وقد رأى الخليل في التضاد دليلًا على ثراء اللغة العربية ومرونتها (الفراهيدي، د. ت.، صفحة 7/ 6)، في

حين نجد سيبويه لا يُحدد تعريفًا مُباشراً لمصطلح (التضاد) كما هو متداول في الدراسات اللغوية الحديثة، لكن يُمكن بيان ذلك من خلال توضيح تصوّره من خلال تقسيمه لدلالات الألفاظ في كتابه؛فقد قسّم سيبويه دلالات الألفاظ على ثلاثة أنواع رئيسة وهي:

النوع الأول: إختلاف اللفظين لاختلاف معناهما: وهو ما نعرفه عن اللغة بشكل عام من حيث دلالة كل لفظ على معنى مُختلف عن غيره، نحو ذلك: ذهب وجلس.

النوع الثاني: اختلاف اللفظين واتفاق المعنى: وهو الذي اصطلح عليه بالترادف، إذ يدل لفظان مُختلفان على معنى واحد، مثل: ذهب وانطلق.

النوع الثالث: اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين: وهو ما عرف بالمشترك اللفظي، إذ دل اللفظ الواحد على معنيين مُختلفين، مثل: (العين) التي تُطلق على عين الإنسان وعين الماء. (أحمد بن فارس، د. ت.، صفحة 116)

التضاد في ضوء تقسيم سيبويه:

لم يُفرد سيبويه بابًا خاصًا للتضاد ولم يُخصّص فصلًا مُستقلًا لمناقشة ظاهرة التضاد، ممّا دل على أنه لم يعامل التضاد كظاهرة مُستقلة بل عدها جزء من الاشتراك اللفظي، لذلك فاننا يمكن ان نفهم من تقسيم سيبويه للمعاني بان التضاد هو نوع خاص من الاشتراك اللفظي غير المصرح به، إذ إتفق لفظ واحد لكنه حمل معان مُتضادة أو مُتعاكسة؛ بمعنى آخر، فالتضاد هو حالة خاصة ضمن الاشتراك اللفظي الذي يكون فيها المعنيان مُتناقضين، فلو لو أخذنا مثال (الجَوْن) الذي يُطلق على الأبيض والأسود، فإن سيبويه سيُصنّف هذه الكلمة ضمن النوع الثالث من دلالات الألفاظ (اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين)، أي

ضمن الاشتراك اللفظي، مع الإشارة إلى أن المعنيين هنا مُتضادين. (سيبويه ، 1980، الصفحات 1/ 24-26)، لذلك فان التضاد يعد نوعا من المشترك اللفظي لان كل تضاد هو مشترك لفظي وليس العكس.

ويمكن ان نستعرض بعض ممن عَرَّفَ التَّضادُّ في الاصطِلاحِ فمن بَينِها تَعريفُ أبي البَقاءِ الكَفَويِّ؛ إذ عَرَّفَه بقَوله: يُقالُ لَموجودٍ في الخارِجِ مُساوٍ في القوَّةِ لَموجودٍ آخَرَ مُمانِعٍ له، ويُقالُ: وقد يُرادُ بالضِّدِّ المَنافي بحيث يَمتَنِعُ اجتِماعُهما في الوُجودِ، وذهب في اخر كلامه الى ان الضدان في اصطلاح الكلام هو عبارة عن اشارة لشيئين لا يجتمعان في مكان واحد من جهة واحدة كما هو الحال في السواد والبياض او الوجود والعدم، والضدان لا يجتمعان كما في النقيضين اللذان لا يجتمعان في آن واحد (الكفوي، 1998، صفحة 574)، في حين عرفة الزركشي معتمداً على تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ ضِدهِ، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي الْمُتَقَابِلَيْنِ (الزركشي، 1994م، صفحة 3/ 73)، في حين عد ابن فارس ظاهرة التضاد من سُنن العرب لانهم عادة ما يسمون الأسماء بالشيء وضده بلفظ واحد، فهذا التعريف يُبين أن التضاد ظاهرة عربية أصيلة وقديمة، كون العرب يسمون الاسم الواحد على المعنى وضده مثل الجون الذي يطلق للاسود والابيض (أحمد بن فارس، د. ت.، صفحة 117)، في حين نجد ابن جني في الخصائص يورد امثلة متعددة عن أهمية التضاد ودوره في إثراء اللغة كونه وسيلة من وسائل تجدد اللغة وغناها بالمعاني، ففي كتابه "الخصائص"، أشار الى التضاد ضمناً في فصول متعددة ولم يفرد لها باباً منفصلاً، بل تناول هذه الظاهرة في سياقات مُتفرقة من كتابه، خاصةً عند حديثه عن دلالة الألفاظ وعلاقتها بالمعاني، وعن أصل اللغة، وعن قوة اللغة العربية ومرونتها، بناءً على قدرة الكلمة الواحدة لحمل معنيين متضادين، مثل كلمة

"الصرم" التي تعني الوصل والقطع، وكون هذا الموضوع يشمل اللغة بشكل عام لذلك عده انعكاسًا لبلاغة اللغة العربية ودقتها في التعبير عن المتغيرات حسب السياق، وذهب الى ان هذه الظاهرة هي الادلة الملموسة على دقة اللغة واتساعها: بل وأكد على ان وجود التضاد في اللغة العربية يُعدّ أحد أهم العوامل على قوتة اللغة وثرائها وقدرتها على التعبير عن المعاني المُختلفة والمتناقضة بلفظ واحد، وهو ما يميز اللغة كونها تُظهر مرونة عالية وقابلية في استيعاب المعاني المُتعددة، فسياق توظيف الكلمة هو الذي يُحدد معناها المراد، فأكد ابن جني على دور السياق في تحديد المعنى الدقيق والمقصود للكلمات التي تكون متضادة، لان المتضادات عادة ما تكون عبارة عن كلمات تحمل معنيين مُختلفين لكن السياق الذي ترد فيه هوالفيصل الذي يُحدد أيّ المعنيين هو المراد وهذا ما أكده في معرض رده على الذين هاجموا التضاد كونه يُؤدّي إلى اللبس والإبهام، وأكد أن السياق اللغوي هو الفيصل في تحديد المعنى المراد، لذلك لم يتفق مع من ذهب الى ان التضاد هو من عيوب اللغة، بل وجدناه يُدافع عن وجوده في اللغة، ولم يعدّه عيبًا أو نقصاً بل هو أحد أهم الخصائص التي تتفرد بها (ابن جني، 1952)

لذلك فان التضاد هو استعمال المفردة للاشارة الى الشيء وضده، والضد هو النقيض والمقابل، فالاضداد جمع ضد وضد كل شيء ما نافاه نحو: البياض والسواد والسخاء والبخل والشجاعة والجبن وليس لك ما خالف الشيء ضدا له الا ترى ان القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين وانما ضد القوة الضعف وضد الجهل العلم فاختلاف اعمّ من التضاد اذ كان كل متضادين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين، وعليه فالالفاظ المتضادة التي يتقابل فيها المعنى يجب ان تتحد اللفظ كما في البسل: الحلال والبسل: الحرام، لكن اذا

اختلف اللفظ لم يكن من التضاد، نحو قولنا الليل والنهار والنور والظلمة والاسود والابيض فهي ليست الفاظ متضادة. (اللغوي، 1963، صفحة 1/ 1)، في حين نجد ان التفسير البلاغي لظاهرة التضاد تتناول تأثيره هذه الظاهرة في النص من حيث الجمال والتأثير والإيحاء، ذلك لانها ليست فقط كونها لفظًا واحدًا يحمل معنيين متضادين بل تحمل في طياتها معانٍ مجازية ابداعية، ومن ضمن التفسيرات البلاغية هو إثراء المعنى والتوسع في الدلالة، لان التضاد يُسهم في إثراء المعنى وتوسيعه، حيث يُمكن للكلمة الواحدة أن تُعبّر عن معنيين مُختلفين تمامًا، ممّا يُضفي على الكلام عمقًا ودقة. هذا يُمكن المُتكلم أو الكاتب من التعبير عن أفكار مُعقدة أو مُتناقضة بأسلوب موجز وبليغ.

فضلا عن ذلك ان توظيف ظاهرة التضاد تجعل من النص اللغوي يميل الى الإيجاز، وهو ما يمكن ان يسمى بالايجاز البلاغي كون التضاد يُمكّن المتكلم من التعبير عن فكرتين مُتضادتين بلفظ واحد، وهذا يُقلّل من عدد الكلمات ويُكثّف المعنى، وهذا يُسهم في جعل التركيب اللغوي يحمل جمالية في الأسلوب وقوة في التأثير، مما ينتج عن ذلك كلاماً مكثفاً ومركزاً وموجزاً، كذلك يؤدي التضاد الى تحفيز الذهن لغرض جذب الانتباه وامعان النظر بشكلأكبر، مما يُثير ذهن المُتلقي وجذب انتباهه، إذ يضطر إلى إشغال الذهن في التفكير بالمعنيين وترجيح الاختيارات المُحتملة للكلمة الواحدة، مما يسهم في تحديد المعنى المقصود بناءً على السياق اللغوي الذي ترد فيه، مما يجعل المُتلقي أكثر تفاعلًا مع النص. (الجرجاني، 2001، الصفحات 50-55)، لذلك عُدَّ التضاد أداة ووسيلة في إظهار الجمال والتأثير في النصوص الأدبية والشعرية، والتي يمكن ان تسمى بالانزياحات البلاغية.

في حين نجد الخطيب القزويني في إشارة واضحة إلى أن كون التضاد واحد من أهم أركان الجمال البلاغي في النصوص العربية، سواء أكانت نصوصاً أدبية (شعرية – نثرية) أم نصوصاً قرآنية، وذهب الى ان التضاد يعد وسيلة فعالة تسهم في توضيح المعاني وإبراز التناقضات التي تزيد النصوص قوة وجمالًا، مما يجعلها أداة أساسية في العلوم البلاغية، وركّز على جعله جزءاً من المحسنات المعنوية التي تُعنى بجمالية معنى الكلمة، لان القزويني أشار إلى جعل التضاد تقابلًا مجتمعاً بين معنيين متناقضين يُستعمل لتعميق الدلالات في النصوص الأدبية، وعدّه وسيلةً لإبراز المعاني بشكل جلي، إذ يكون التباين بين المفهومين المتناقضين سببًا في زيادة التأثير البلاغي للنص.

واستشهد بتوظيف ظاهرة التضاد بابعادها البلاغية بالايات القرانية التي تبين فيها دور هذه الظاهرة في الإعجاز القرآني، لانه ذهب الى أن القرآن الكريم استعمل التضاد بأسلوب بليغ ومؤثر بغية التأثير والإيضاح، مثل قوله تعالى((وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود)) (سورة الكهف: 18)، إذ وظِفَ التضاد بين لفظتي (أيقاظًا) و(رقود)، مما أبرز المشهد القرآني بشكل مؤثر دل على الإعجاز البياني للقران، لذلك يلاحظ دور البارز في تحسين المعاني من خلال إضفاء جمالية بلاغية واضحة على النصوص، وهذا يُساعد المتلقي على إدراك الفكرة من خلال المقارنة بين المفردات المتضادة، وهو جزء من علم المعاني الذي يعنى بإبراز المعاني الخفية وتحسين وضوحها من خلال التباين بين الكلمات، كذلك يؤكد الخطيب بأن التضاد يُؤثّر في وجدان المتلقي ويثير انتباهه، لأن الجمع بين المتناقضات يخلق توازنًا بين الجمال اللغوي والمعنى العميق، مما يجعل النصوص الأدبية أكثر حيوية وقوة. (القزويني، 1989، الصفحات 477-490)

المبحث الثاني

التضاد عن علماء اللغة المحدثين

مقدمة:

دأب علماء اللغة المحدثين على تطوير المفاهيم اللغوية لأهم الظواهر اللغوية التي تناولتها أمهات الكتب لعلماء اللغة القدامى، فقد شهد مفهوم التضاد في اللغة تطوراً ملحوظاً من خلال جهود علماء اللغة المحدثين، الذين درسوا الظاهرة من عدة زوايا وبطرق مختلفة ومبتكرة، فانطلقوا من اعتماداً على أهم المفاهيم التي قعد احكامها اللغويون العرب القدماء، لكنهم تجاوزوها لتشمل أبعادًا دلالية اضافية، وإدراكية نفسية، مما منح التضاد بُعداً أكثر شمولية، لذلك حاول المحدثون استنباط أنواع جديدة من التضاد مثل التضاد التدريجي والتضاد التكاملي والتضاد الضمني، معتمدين في إثراء هذه العلاقات بين الكلمات على السياق اللغوي والاستعمال الوظيفي.

كما أدت الدراسات الحديثة دوراً هاماً في ربط ظاهرة التضاد بالنظريات الدلالية الحديثة، إذ أظهرت هذه النظريات كيف اسهمت العلاقات التضادية في تشكيل المعاني والدلالات فهم وتعزيز النصوص، مما فتح آفاقاً جديدة في دراسة هذه الظاهرة في إطر عدة من أهمها علم النفس اللغوي، كذلك وظف علماء اللغة التكنولوجيا الحديثة في تحليل الظاهرة من خلال حوسبة اللغة بشكل عام، مما أسهم في تطوير عمليات الترجمة الآلية، لذلك قدم علماء اللغة المحدثون مساهمات معمقة رفعت من شأن ظاهرة التضاد كونها ليست مجرد ظاهرة لغوية، بل بجعلها عنصراً فاعلاً في فهم طبيعة اللغة كونها وسيلة ابداعية.

التضاد عند علماء اللغة المحدثين:

عرف علماء اللغة المحدثين التضاد بانه اللفظ المستعمل في معنيين متضادين، إذ تُنبأ كل لفظة عن المعنى الذي تتضمنه، لتدل على الشيء وضده، فلم يقصدوا بالتضاد ما يعرف به اليوم من مفاهيم متضادة كالطول والقصر والجمال مقابل القبح (عمر، 2006م، صفحة 213)، في حين كانت نظرة اللغويين المحدثين واهتمامهم بظاهرة التضاد تكاد تكون ضئيلة، بل لم تمنح الاهتمام الذي تستحقه، وهو ما نقل عن علماء اللغة المستشرقين منهم ستيفن اولمان حيث قال: من المعروف ان المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنباً الى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أي إزعاج أو مضايقة، فالكلمة اللاتينية (altus) قد يكون معناها مرتفع أو منخفض، وكلمة (blessed) التي تعني المقدس والملعون بالوقت نفسه. (اولمان، د. ت.، صفحة 139)، في حين عرف أيضاً بانه وجود للفظين يختلفان نطقًا ويتضادان معنى، والخاصية المشتركة بينهما هي التضاد في المعنى (عبد العبود، 2007، صفحة 150)، في حين لم يخرج علماء العربية المحدثين عما حدده اللغويون العرب القدامى في اثبات التضاد ومازجوا بينها وبين مفاهيم اخرى وجدوا فيها تقارباً كبيراً في المفهوم بل حتى الالية المتبعة لتحديد المعنى المحدد من الكلمة، منها المشترك اللفظي والمترادف وغيرها، لان المفهوم العام واحد وهو كلمة واحدة حملت معنيين الفيصل فيها هو السياق ليبين معناها ما اذا كان مرادفاً او مشتركاً أو متضاداً كقولهم بيع ويعنون به البيع والشراء، (عبد الباقي، 1985، صفحة 596) ، لذلك فدراسة الكلمة تعد وسيلة مهمة في ادراك القيم الجمالية كونها وسيلة يستخدمها الكاتب في رسم مشاعره عبر دلالات وجدانية ذات أبعاد بلاغية يفصح عنها النص بشكل عام، وهذه الدلالات تنتقل الى مرحلة اعمق عندما

تتفاعل داخل النص تفاعلاً ادبياً بلاغياً وجمالياً وهي بذلك تتشكل القيمة الابداعية للالفاظ التي شكلت النص بشكل عام. (مندور، 2006، الصفحات 51-52)، لكن ما تم ملاحظته ان أغلب الدارسين والباحثين المحدثين يواجهون لبساً في فهم عملية التضاد اللفظي، الذي يخرج من رحم كلمة واحدة الى اعتماد مفهوم التضاد الثنائي بين لفظين متضادين، فقد اعتمد حين ذهب الى تطبيق هذا المفهوم على نصوص شعرية مختارة؛ منها قول الاعشى:

ولكن أرى الدهر الذي هو خاتر إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا

شبابٌ وشيبٌ، وافتقارٌ وثروةٌ فلله هذا الدهر كيف ترددا

فيبين الباحث ان الشاعر وظف الفاظاً ثنائية ذات دلالة ضدية ولم يعتمد على مفهوم التضاد المتعارف عليه من اعتماد لفظ واحد ليدل على معنيين، فاستخرج من البيتين الشعريين أصلحت = أفسدت، شباب= شيب، افتقار = ثروة، ليبين به تناقض التضاد الذي وظفه الشاعر، وهو بذلك افرغ التضاد من مفهومه الذي اعتمده علماء اللغة القدامى ليتحول من كلمة واحدة ذات معنيين متناقضين الى كلمتين ذات معنين متناقضين (الربيعي و عبد الحسين، 2016، الصفحات 71-72)، وهذا ما اكد عليه انيس الذي لم يخرج عما قرره القدامى بل امتد على نهجهم ورؤاهم، فذكر ان الضدية هي علاقة بين معاني الكلمات، تنشأ من خلال استدعاء معنى من المعاني، قد يسهم في استدعاء ضده في ذهن المتكلم، لذلك تعد علاقة الضدية من اوضح العلاقات في استدعاء المعاني، لان الكلمة الواحدة تعبر عن معنيين بينهما علاقة أما علاقة ضدية او تشاركية أو ترادفية، وهو ما نلاحظه في استحضاؤ معاني كلمة (الهاجد) التي تستدعي معاني النوم والسهر بنفس الوقت، فقد استعملت

اللفظة في القران بمعنى السهر، كما في قوله تعالى: ((وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (الاسراء-79))، بينما في موضع آخر استخدمت اللفظة حاملة معنى النوم في قول الشاعر المرقش:

سرى ليلاً خيال من سليمى فأرّقني وأصحابي هجودُ

لذلك لم يخرج علماء اللغة المحدثين عما قرره القدامى من وجود ظاهرة التضاد، ولم يوافق معظم الباحثين المحدثين ما توجه اليه بعض القدامى من انكار لهذه الظاهرة بل ايدوا بشدة هذا التوجه وهو ما ذهب اليه الدكتور صبحي الصالح حين انكر اتفاقه مع ما ذهب اليه ابن درستويه في انكار ظاهرة التضاد، وجعل ما ورد من التراث العربي القديم مرجعاً أساساً يستند عليه طوعاً أم كرهاً لان هناك كلمات بقية محفوظة ومستعملة حتى يومنا هذا، تحمل في وعائها الدلالي معنيين احدهما مرادفاً للاخر، لنجد انفسنا أمام ظواهر ما زالت شاخصة في كتاباتنا منها التضاد والترادف والمشترك اللفظي (الصالح ، بيروت، صفحة 313)، وهو ما وافقه في ذلك د. وافي وعارض بشدة انكار هذه الظاهرة وجعله توجه تعسفي في اجهاض ظاهرة شكلت وجوداً حاضراً في النصوص العربية التراثية، بعيداً عن التأويل الذي عمد اليه بعض اللغويين لاثبات صحة هذا الانكار، مستشهداً بما ذكره ابن درستويه في جعل بعض الالفاظ النادرة التي لا يمكن تأويلها واحتفاظها بالتضاد (وافي، 2004، صفحة 149).لكن ما لحظناه واتفق عليه أغلب الباحثين بان مفهوم التضاد عند المحدثين شهد تحولاً خطيراً في المفهوم مما شكل اختلافاً للكلمة الواحدة عن المفهوم القديم، فالتضاد عند المحدثين اصبح يدل على وجود لفظين مختلفين، يختلفان نطقاً في حين يتضادان في المعنى، ويكون التضاد بهذا المفهوم خاطئاً، إذ يدل على وجود معنى في كلمة غير موجود في

الاخرى كالطول فهو غير موجود بالقصر والعكس صحيح، فانهما يشتركان في الفاظ التذكير والتأنيث، اذ يشتركان في الجنس ويختلفان في النوع ليكون التضاد بالمعنى الحديث يختلف تماما عن المعنى القديم. (محمد، 2001 ، الصفحات 194-195).

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن ظاهرة التضاد تُعد من الظواهر اللغوية والدلالية المحورية التي تجمع بين التراث اللغوي العربي والتوجهات الحديثة في علم الدلالة. فقد أوضحت المقارنة بين آراء علماء اللغة القدامى والمحدثين أن التضاد يمثل انعكاسًا لثراء اللغة العربية ومرونتها، حيث تعامل القدامى مع هذه الظاهرة كجزء من التراث البلاغي واللغوي، معتمدين على التفسير السياقي، في حين طور المحدثون المفهوم ليشمل جوانب نفسية ودلالية، إلى جانب تطبيقات تكنولوجية حديثة.

على الرغم من الجدل القائم بين العلماء حول مفهوم التضاد وحدوده، أكدت الدراسة على دوره المحوري في تجديد اللغة وتوسيع معاني النصوص. كما بيّن البحث الاختلافات بين القدامى والمحدثين في منهجية دراسة الظاهرة؛ إذ ركز القدامى على المعاجم والتراث الشعري، بينما اعتمد المحدثون على التحليل الدلالي والنظريات اللغوية الحديثة.

نتائج البحث:

خلص البحث الى مجموعة من النتائج أهمها:

1.الاتفاق العام على وجود الظاهرة: أكد معظم علماء اللغة القدامى والمحدثين على وجود التضاد في اللغة، باعتباره دليلاً على غناها ومرونتها.

2.التباين في معالجة المفهوم:تعامل القدامى مع التضاد كجزء من الظواهر اللغوية مثل المشترك اللفظي، بينما وسّع المحدثون المفهوم ليشمل أنواعًا جديدة مثل التضاد التدريجي والتكاملي.

3.دور السياق في تحديد المعنى:أكد الجميع على أن السياق هو العنصر الحاسم في فهم المعاني المتضادة وتحديد المراد منها.

4.تأثير التضاد على الجمال البلاغي:استُخدم التضاد كأداة بلاغية لإثراء النصوص الأدبية والشعرية، كما في القرآن الكريم، مما يعزز قوته التأثيرية وجماليته.

5.التطور الدلالي للظاهرة: تطورت دراسة التضاد مع الزمن لتشمل جوانب إدراكية ونفسية، مما ساهم في استثمار الظاهرة في الحوسبة اللغوية وتحليل النصوص.

6.الاختلافات المنهجية بين القدامى والمحدثين:ركز القدامى على الجمع والتدوين والتصنيف التقليدي، بينما استفاد المحدثون من النظريات الحديثة مثل علم النفس اللغوي ومعالجة اللغة الطبيعية.

7.أهمية البحث الأكاديمي:أبرز البحث أهمية الربط بين الرؤى التراثية والمعاصرة لفهم أعمق لظاهرة التضاد وتعزيز النقاش الأكاديمي حولها.

المصادر والمراجع:

ابن فارس، أ1991) .م .(معجم *مقاييس اللغة* , , : ,ط – *19/1*)ط 1) .(.ed ت. ع. هارون (.Ed ,بيروت: دار الفكر.

ابن منظور، أ ج) .د. ت .(*لسان العرب*) .- ,ت. س. السيد (.Ed ,القاهرة :المكتبة التوفيقية.

ابو البقاء ايوب بن موسى الكفوي. (1998). *الكليات: المعجم في المصطحات والفروق اللغوية*. بيروت: مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر والتوزيع.

ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي. (1963). *كتاب الاضداد في كلام العرب*. (تحقيق: د. عزة حسن، المحرر) دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.

ابو الفتح عثمان ابن جني. (1952). *الخصائص*. (تحقيق: محمد علي النجار، المحرر) لبنان – بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

أحمد بن فارس، أ) .د. ت .(*الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*) .ت. ت. صقر (.Ed ,القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

احمد مختار عمر. (2006م). *علم الدلالة* (الإصدار ط 6). مصر: عالم الكتب.

الامام الخطيب القزويني. (1989). *الايضاح في علوم البلاغة*. (تحقيق: د.محمد عبد المنعم خفاجي، المحرر) لبنان: الشركة العالمية للكتاب.

الربيعي، أ & ,.عبد الحسين، أ ص .(2016) .التضاد والعلاقات الثنائية في شعر المعاقين .*مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية*.72-71 ,(1)2 ,

الفراهيدي، أ1) .د. ت .(*كتاب العين* .القاهرة: دار ومكتبة الهلال.

اولمان، أس) .د. ت .(*دور الكلمة في اللغة*) .ت. و. بشر (.Ed ,مصر: دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع.

بدر الدين الزركشي. (1994م). *البحر المحيط في أصول الفقه* (الإصدار ط 1). (تحقيق: الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، المحرر) لكويت: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية.

د. صبحي الصالح . (بيروت). *دراسات في فقه اللغة* (الإصدار ط 1). 1960: دار العلم للملايين.

د. محمد مندور. (2006). *النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الادب واللغة*. مصر: دار النهضة للطباعة والنشر.

سيبويه، أ .(1980) .*الكتاب*) .ت. ع. هارون (.Ed ,القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد الباقي، أ ض .(1985) .*لغة تميم دراسة تاريخية وصفية* .القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية مجمع اللغة العربية.

عبد العبود، أ د. م .(2007) .*مصطلحات الدلالة العربية – دراسة في ضوء علم اللغة الحديث* .بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد لقاهر الجرجاني. (2001). *دلائل الاعجاز في علم المعاني* (الإصدار ط 3). (محمد رشيد رضا، المحرر) بيروت – لبنان: دار المعرفة للطباعة والتشر.

محمد، أ د .(2001) .*العربية وعلم اللغة الحديث* .القاهرة :دار غريب.

وافي، أ د .(2004) .*فقة اللغة*)ط 3 .(.ed القاهرة: نهضة مصر.